المحاضرة السادسة: حزب الشعب الجزائري 1937-1939.

بعد التطورات التي عرفتها الساحة السياسية في الجزائر خلال الثلاثينات مثل انعقاد **المؤتمر الإسلامي** 1936، ووصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا ، ثم خيبة أمل الحركة الوطنية الجزائرية في وعود الإصلاح من طرف الجبهة الشعبية و نتيجة لحلّ **نجم شمال إفريقيا** سنة 1937، التقى المناضلون السابقون للنجم لإعادة تشكيل حزب وطني جديد فكان حزب الشعب الجزائري .

3-1 تأسيسه

تأسس حزب الشعب الجزائري في مارس 1937في فرنسا، و يعتبر امتدادا لحزب نجم شمال إفريقيا ، حضر الاجتماع التأسيسي أزيد من 300 مناضل وتم انتخاب مصالي الحاج رئيسا للحزب الذي قرر نقل نشاطاته إلى الجزائر بعد عودة هذا الأخير إليها في 18 جوان 1937بسرعة أصبح حزب الشعب منظمة سياسية قوية، وحركة وطنية بحتة عرفت بقوة التنظيم والانتشار الواسع في كل المدن الجزائرية؛ مستفيدا من مناضلي النجم السابقين وتجاربهم السياسية. أصدر حزب الشعب عدة صحف لنشر أفكاره و مبادئه ومنها الأمة – الشعب التي كان يديرها مفدي زكريا ، البرلمان الجزائري هذه الأخيرة كان يحررها المساجين من داخل سجن الحراش و تقدم للمناضلين في الخارج لطبعها و توزيعها.

3-2 برنامجه

منذ تأسيسه؛ اتخذ حزب الشعب الجزائري شعاره الخاص"لا اندماج، لا انفصال، لكن تحرّر". في محاولة منه لتجنّب المواجهة المباشرة مع السلطات الفرنسية على غرار ما وقع للنجم وكان الحزب يؤمن بشعار " أن الحقوق تؤخذ و لا تعطى ".

ويظهر من خلال برنامج حزب الشعب الجزائري أنّه مثّل الحركة الوطنية الثورية في الثلاثينات باعتباره خطابا واضحا و اعتماده مطالب وطنية بحتة تمثلت في :

- إنشاء حكومة مستقلة عن فرنسا .
- إنشاء برلمان جزائري .
- احترام اللغة العربية و الدين الإسلامي.
- إلغاء قانون الأهالي و كل القوانين الاستثنائية .

– ضمان حرية التعليم و حرية الصحافة ....إلى غيرها من المطالب التي عبّر عنها الحزب في مختلف المواقف ، ونشرها في جرائده الخاصة.

3-3 مساره السياسي

كان للحزب نشاطا سياسيا مكثفا ممّا أكسبه ثقة الشعب والتفافه حوله ، واتساع قاعدته الشعبية في مختلف المدن الجزائرية ، وأصبح في ظرف وجيز حزبا وطنيا شعبيا يحسب له ألف حساب خاصة من طرف السلطات الاستعمارية التي كانت تراقب تحركات منا ضليه و نشاطهم ، هذه الأخيرة لم تتوان في إصدار قرار حل حزب الشعب يوم 26 سبتمبر 1939 و الزج بزعمائه في السجن ، والحكم على رئيسه مصالي الحاج بالأشغال الشاقة.وهكذا طويت صفحة حزب الشعب في نظر الإدارة الفرنسية لكن النشاط الوطني سيعرف مرحلة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية و بعدها.

برنامجه:

الميدان السياسي:

– إلغاء قانون الأهالي، وقانون الغابات، و كل القوانين الاستثنائية.

– منح الحريات الديمقراطية: حرية الصحافة. الجمعيات. التفكير. النقابة. الاجتماعات. مساواة الفرنسيين و الجزائريين أمام الخدمة العسكرية. احترام الديانة الإسلامية مع إعادة الأوقاف التابعة لها وكذلك إدارتها.

– إلغاء الإعانات المقررة للديانة الكاثوليكية و البروتستانتية من طرف الحكومة.

– حرية السفر إلى فرنسا و إلى الخارج.

– تحويل النيابات المالية إلى مجلس جزائري منتخب انتخابا عاما بدون تمييز في العرق أو في الدين.

– فصل السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية.

الميدان الاجتماعي

– تدعيم الثقافة باللغتين العربية والفرنسية.

– تعليم اللغة العربية إجباريا لكل المواطنين في كل المستويات.

– التطبيق بالجزائر لكل القوانين الاجتماعية و العمالية المعمول بها في فرنسا.

- العناية الصحية والحضور الاجتماعي.
- حماية الطفولة.

الميدان الاقتصادي

- تخفيف الضرائب.
- الضريبة التصاعدية حسب الدخل.
- تأميم القروض ، و الصناعات الأساسية ، و الاحتكارات القائمة.
- محاربة البطالة بالاهتمام بمشاكل الري.
- إلغاء الربا في القرض للفلاحين و التجار.
- إنشاء نظام جمركي حام للصناعات و الإنتاج المحلي ضد الإنتاج المشابه.

الميدان الإداري

- قبول كل الجزائريين بدون تمييز في كل الوظائف مع تطبيق مبدأ: عمل متساو، أجر متساو.
- إلغاء كل المكافآت ذات الصبغة العنصرية أو السياسية.
- إلغاء المناطق العسكرية و البلديات المختلطة.

3- حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1946-1954.

4-1 نشأة الحركة

بعد مجازر 8 ماي 1945، واطلاق سراح مصالي الحاج في أكتوبر 1946، عقد إطارات حزب الشعب الجزائري إجتماعا في ديسمبر 1946 بالجزائر العاصمة، بحثوا فيه إعادة العمل بالحزب تحت إسم جديد وهو (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) مع الحفاظ على حزب الشعب كجناح سياسي سري نشيط.

4-2 توجه الحركة الجديد

توجهت الحركة توجها جديدا اعتمد أسلوب المهادنة مع السياسة الاستعمارية ومن ذلك دعوة مصالي الحاج إلى المشاركة في الانتخابات وفكرة ضرورة النضال الشرعي، مما أدى إلى خلق جناح رافض لمسايرة السياسة الاستعمارية وتأسيس جناح شبه عسكري في فيفري 1947 أخذ اسم المنظمة الخاصة.

3-4 برنامج الحركة

احتفظت الحركة بنفس برنامج حزب الشعب وعرف ببرنامج حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، تمحور حول أهداف معينة تمثلت خصوصا في العمل على إلغاء النظام الاستعماري وإقامة نظام وسيادة وطنية وإجراء انتخابات عامة دون تمييز عرقي ولا ديني، إضافة إلى المطالبة بإقامة جمهورية جزائرية مستقلة ديمقراطية واجتماعية تتمتع بكامل الصلاحيات.تربط الجزائر بمدها الطبيعي العربي والإسلامي والإفريقي. وكانت هيكلة وتنظم حركة الانتصار تعم كامل القطر الجزائري بصفة محكمة وشاملة.

4- نماذج من نصوص ووثائق الحركة

أولا: تقرير حسين أيت أحمد إلى اللجنة المركزية الموسعة ديسمبر 1948:

منذ إنعقاد المؤتمر الأول لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية بتاريخ 15فبراير 1947 كان التحضير للثورة على جدول الأعمال، لكن القيادة تأخرت، أثار تزوير انتخابات المجلس الجزائري (4 و 11 أفريل 1948) ، التي أقيمت بموجب قانون الجزائر (سبتمبر 1947) ، مرة أخرى مسألة الجيش النضالي، وتم تعيين آيت أحمد كرئيس للتنظيم شبه العسكري ، ليقدم إلى اللجنة المركزية الموسعة تقريرًا عن المشاكل التكتيكية والاستراتيجية لحزب الشعب في الجزائر، مليئة بالإشارات إلى مفلفين للكتب العسكرية الحديثة في أوربا كلاوزفيتز وليدل هارت؟ هارت التأثر بالكتابات العسكرية، وهما منظرين للفن العسكري ، هذه الوثيقة هي التحليل الأكثر تماسكًا وراديكالية التي أنتجها زعيم جزائري أنذا، يكشف محتواها ، الذي يعد سابقًا في العديد من النواحي ، بعد حقيقة التدهور السياسي لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، بين عامي 1949 و 1954 ، فضلاً عن الأضرار التي أحدثها الفكر الإصلاحي خلال هذه الفترة.

ينقسم هذا التقرير الى ارعة أقسام:

أولا: شكل النظام من أجل التحرر

لن يكون النضال من أجل التحرير انتفاضة جماهيرية إن فكرة الانتفاضة الجماهيرية شائعة بالفعل.

في الواقع ، فكرة "الانتفاضة الجماهيرية" تقوم على ذكريات تاريخية ، على مستوى الرأي العام. مثل ما حدثت في انتفاضة عام 1871، ومذبحة ماي 1945، وهي مغامرة مأساوية، كما أشار ايت أحمد في تقريره الى تجربة أوربا في تاريخها العسكري على غرار كتاب كلاوزفيتز الذي يولي أهمية كبيرة للتفوق العددي ، ولكن عندما يتعلق الأمر بـ "الجيوش التي تشبه بعضها البعض من وجهة نظر المعدات والتنظيم والمعرفة الفنية لهذه معارك إستراتيجية.

لن يكون النضال من أجل التحرير إرهابًا معممًا: بل يكون في اطار حرب ثورية تحررية بفضل النجاحات التكتيكية ، كلما اقتربنا من تحقيق النصر النهائي، المبادئ التوجيهية لاستراتيجيتنا هي: ميزة التضاريس ، حرب العصابات هي الشكل الأساسي للحرب ، الدفاع الإستراتيجي وليس الهجومي، تشكيل قواعد إستراتيجية في نقاط معينة ، يشكل كتل متماسكة من أين يمكن أن تأتي صاعقة رهيبة.

بالنسبة للحرب الثورية فهي فن ثوري ينبع من الرؤية الثورية والإخلاص، وفي الختام ، يمكننا أن نقول عن وجهات الثورية أن هدفها هو:

1- التحريض على عملية حرب شعبية جديرة بالضرائب الجماعية التي أوضحت بشكل مجيد تاريخ المغرب العربي.

2- لتوجيه هذه العملية إلى أحدث الأشكال الممكنة لحرب العصابات المدرجة في نظرية الدفاع الاستراتيجي.

3- إثارة حركات تضامن ودعم فعال في الخارج وحتى في فرنسا.

ثانيا وضع الحزب سياسيا:

تفاءل ايت احمد في تقريره حول تجاوز الحركة الوطنية الجزائرية مرحلة الأخذ وعي الجماهير الشعبية، من خلال سياسة الحزب و كان الشعب الجزائري قد أعرب بالفعل عن رغبته في أن يكون حراً وذو سيادة، وأن المطالب الوطنية والإيمان بالأمة الجزائرية وأفكار الاستقلال والثورة والديمقراطية تشكل نسيج الرأي العام.

كما يشير التقرير الى انطلاق السيرورة الثورية على مستوى الوعي الشعبي منذ الصدمة المؤلمة التي حدثت في مجازر 8 ماي 1945 ، في المناطق التي تمكنت من تنظيم نفسها، بسبب معارضة أبطال "الوطنية المعتدلة"، لقد انتصرت الوطنية الريفية في الرأي العام مع القسوة التي تميز الاضطهاد الذي تعاني منه الجماهير الريفية"، أنها تشير إلى توطيد ونمو تيار تاريخي عميق، الأمر متروك للحزب لتعميق هذا التيار التاريخي، علاوة على ذلك ، فإن بعض أعضاء المكتب السياسي الحاضرين الذين تم اعتقالهم كمرشحين للجمعية الجزائرية ، أسروا أنه عندما غادروا سجن بربروس: "علينا مراجعة سياستنا! لا بأس ، لكن على الأقل يستحق الأمر".

يجب على النظام العضوي أن تكون له مهمتان رئيسيتان: التعبئة السياسية والإشراف السياسي للجماهير، وإعداد المديرين التنفيذيين والوسائل العسكرية.

دراسة الحالة من منظورها الهيكلي والتنظيمي وما هي الأدوات التي تمكن من تعميق وتوجيه هذه العملية الثورية في اتجاه استعادة الاستقلال، التفاوت بين مختلف المناطق الجزائرية بسبب اختلاف مستويات الخبرة القتالية والنضج السياسي. خاصة في وهران مقارنة بمناطق العاصمة والشرق الجزائري، اضافة الى افلاس العملية الانتخابية في الجزائر يعمق المشكلة، ومع ذلك ، فإن الأمر يتعلق بمستقبل الثورة ، أن تُسند المهام الريفية للتنظيم والإشراف إلى المناضلين والقادة الشعبيين المخلصين والحيويين والجادين، كما أن مشكلة قلة المسؤولين التنفيذيين والتدريب العقائدي من حيث الكم والنوعية، لقد تطورت الحركة بسرعة كبيرة لأن شعاراتها الوطنية تستجيب لتطلعات شعبنا العميقة. من ناحية أخرى، يتطلب تنوع المهام وتخصص النشطاء عددًا متزايدًا من القادة المحليين والإقليميين والوطنيين.

ينتقد التقرير فكرة مصالي الحاج وأحمد بودا اللذين يتمنيان وضع خطة أمن بخصوص حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، ويبقى مركزاً على منظور ثورة فورية ، ويطالب بالأولوية للمنظمة الخاصة في تقاسم الاطارات في جعل التنظيم أكثر حرية، كما يعدد آيت أحمد العوائق الموضوعية أمام المنظمة الخاصة من جانب القيادة ، يعالج مشكلة التكوين على المستوى التقني ، في الدراسة النظرية والعملية لاستخدام الاسلحة الحديثة والمتفجرات، الوجوه الرئيسية للمعركة الفردية . أما على المستوى التكتيكي البحث عن مؤلفات حديثة تتناول

بالبحث حرب الغوار، وحرب الانصار، والقوات الخاصة، دراسات تتطابق افضل ما يمكن مع معطيات دولة الجزائر ومضاعفة دورات التكوين في الريف، لجعل العناصر يتألفون مع واقع الحرب والتكوين لا يخل بالمبدأ التراتبي منا سمح هذا للعديد من الفصائل المسؤولي الوحدات أن يكتسبوا تكوينا عسكريا خاص للضباط كبار في الثورة

وبعد معرفة الأشكال التي سيتخذها النضال من أجل التحرير ، أصبحت أكثر وعياً بمتطلبات هذا النضال من حيث الإمكانات الأخلاقية والاطارات والقوة المادية، لذلك جاءت لحظة الاختيار الوطني الذي تجسد في حرب تحريرية، يجب أولا تحديد أطر النضال التحريري، يهدف هذا العمل التدريبي إلى رفع المستوى الفني والتكتيكي، دراسة نظرية وتطبيقية للتعامل مع الأسلحة والمتفجرات ، الجوانب الرئيسية للقتال الفردي، على المستوى التكتيكي ، اختيار الأعمال الأخيرة التي تتناول حرب العصابات، والحرب الحزبية ، و "الكوماندوز"، الدروس الأكثر ملاءمة لظروف دولة الجزائر، يتم التدريب التكتيكي نظريًا وعمليًا والاهتمام بالمسائل العسكرية.

- **المنظورات**

تعميق الوعي الثوري للجماهير هو أيضا معالجة مهمة الإعداد والتنظيم في دوائر الطبقة العاملة والطلابية بشكل منهجي، اتخذ المؤتمر ، بمفهومه "متعدد الأوجه" للتنظيم ، خطاً محدداً بشأن الاتحاد. لذلك سيكون من الضروري القيام باستقطاب عميق لاتحاد النقابات العمالية من خلال التسلل إلى الجهاز وحملة شرح تقودها الصحافة ضد السياسة التمييزية للقادة النقابيين فيما يتعلق البروليتاريا والطبقة الدنيا والعاطلين عن العمل من أصل جزائري، على الرغم من أن الطبقة العاملة متخلفة ، إلا أنه يمكن قيادتها للعب دور مهم في سياق النضال الراديكالي مع الأهداف الثورية التي تجمعهم في حركة نقابية وطنية أصيلة وثورية. أما بالنسبة للطلاب وطلاب المدارس الثانوية ، فإن مهمتنا أيضًا هي إدارة إعادة تنظيمهم بحيث يصبحون بمثابة تخمير للوطنية الثورية أثناء انتظار الاندماج في النضال التحرري. إن الحماسة الوطنية ، المثالية التي تميزهم وتضعهم في تكافل مع الجماهير ، هي أدلة على أن ذكاءهم جاهز لوضع نفسه في خدمة الثورة.

لم يكن يتعلق الأمر فقط بجدول مهمات عملية ، بل كذلك بالشروط السياسية الضرورية لتفجير الثورة، ويكمن الوعي الثوري في استغلال المأزق الشرعي والاخفاقات الاصلاحية بهدف جعل الجماهير تألف فكرة حرب حقيقية، ينبغي توضيح المضمون الاجتماعي للنضال التحرري، يجب تحديد الاطارات وتعيينهم وفقاً لأصلهم الاقليمي كما تبين تجربة المنظمة الخاصة ان الحزب اخطأ حين وثق بالرجال ذاتهم، بجب إختيار المسؤولين القادمين المعدين للتنظيم السياسي في الريف من بين الشباب والطلاب من أصل ريفي، أما ابناء المدن فسيتم اختيارهم للعمل في المدن ، فالتجربة تبرهن على صعوبة انخراطهم الريفي ، والفلاحون يفضلون الكوادر المحليين ، ويحتاجون للثقة من أجل الالتزام.

إن استراتيجية مد الثورة الى المغرب العربي تتطلب اتصالات مع حزب الدستور الجديد وحزب الاستقلال في كل من تونس ومراكش وانشاء اجهزة قتال مشابهة للمنظمة الخاصة، هكذا سيكون في وسعنا تحاشي العائق الناجم عن أنه يوجد في البلدان الثلاثة حركات تحرر تعبر عن قوى اجتماعية مختلفة ولها منظورات مختلفة، يمكن ان يتحقق تعميم الحرب على المغرب مع هيئات الاركان السياسية أو بدونها، فإن سيرورة التحرير في الجزائر ما أن تبدأ حتى ستجد في الشرق وفي الغرب أناساً وأدوات للتوسيع والتعميم الجديين.

بخصوص التحالف، ينبغي العمل من أجل جبهة ثورية للشعوب المضطهدة، وأن نأخذ بالحسبان ان (الجزائر هي منطقة النفوذ الغربي) وانه (لن تسمح الولايات المتحدة ابداً بأن تنتقل إلى جانب الشرق. جرى تبني التقرير بالاجماع إلا صوتين ، صوت دردور الذي عارضه، ومصالي الذي امتنع فإن موقفه بقي لغزاً.

ثانيا: التقرير الموجه الى المؤتمر الوطني الثاني لحركة إنتصار الحريات الديموقراطية أفريل 1953:

التقرير العام الذي قدمته اللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار للحريات الديموقراطية إلى المؤتمر الوطني الثاني للحزب بالجزائر العاصمة أيام 4 و5 و6 أفريل 1953.

يقع التقرير في 80 صفحة طبعته الشركة الجزائرية للنشر والطبع بالجزائر، ويحتوي على مقدمة. وخطبة الافتتاح، ورسالة مصالي الحاج، والتقرير العام، واللوائح الختامية. ويتألف هذا التقرير من أربعة أقسام:

خلاصة الحوادث ما بين 1947 و 1953م، كان لهذا التيار عدة نقائص اعترف بها تقرير اللجنة المركزية إلى المؤتمر ومنها أنه لم يوضح بصفة مضبوطة المذهب العام الذي يحدد صبغة الكفاح ووسائله، والأهداف العقائدية النهائية لهذا الكفاح، ولم يحدد مفهوم الاستقلال في الميدان العقائدي السياسي والاقتصادي والاجتماعي وانزلق في سياسة التحالف مع الأحزاب، من التصلب المفرط، إلى التساهل المفرط، في ميدان التكتيكي. ولم تأت سياسة المشاركة في الانتخابات بنتائج مرضية وذلك بسبب نقص كفاءة بعض الرجال وعدم وجود سياسة مضبوطة للنواب. ولم يفصل البرنامج السياسي للحزب الأهداف العاجلة، ولم تصل دعايته إلى كل الأوساط الشعبية، ولم يتعمق في دراسة مشكل الأقلية الأوروبية وما تطرحه من مشكلات كما لم يدرس مرحلة ما بعد الاستقلال.

أكدت الوثيقة اختلاف هذا التيار الثوري الاستقلالي مع الشيوعيين والإصلاحيين الذين يعني بهم العلماء، والبيانيين، فالشيوعيون في نظر هذا التيار، ثوريون نظريا فقط.

حددت الوثيقة أيديولوجية هذا الحزب وهذا التيار في الأمور التالية:

في الميدان العقائدي:

- إقامة دولة جزائرية ديموقراطية جمهورية، ذات رخاء اقتصادي يقوم على أساس إنشاء اقتصاد وطني مغاير للاقتصاد الاستعماري.

- إعادة تنظيم الزراعة وذلك بالقيام بإصلاح زراعي، وتأميم وسائل الإنتاج، وإيجاد انسجام بين اقتصاديات بلدان المغرب العربي عن طريق إقامة أسواق مشتركة للإنتاج والاستهلاك.

– إقامة عدالة اجتماعية تقوم على أساس رفع مستوى المعيشة بواسطة الرخاء الاقتصادي والتوزيع العادل للدخل القومي لتحقيق العدالة الاجتماعية.

– تحقيق الحريات النقابية.

– نشر الثقافة القومية العربية الإسلامية، والتعليم الفني والصناعي، ومحاربة الأمية، واحترام العقائد الدينية المختلفة.

الميدان المذهبي: التفكير في النطاق الوطني الشامل، وتوضيح الصبغة الثورية للحزب في الأهداف والوسائل، وأسس العمل الواقعية وإبراز الصبغة الدفاعية التحريرية الديموقراطية لوطنيته، والنقد البناء في جميع الميادين حتى يتم الحصول على أكبر قدر من النتائج بأقل الوسائل والنفقات، وفي أقصر وقت.

الميدان الاستراتيجي: يؤكد على ضرورة ترتيب الأهداف تحسب صحتها أساسية، وواقية، وأهداف كأدوات للعمل، والخصها في الأمور التالية:

محاربة القمع، تدعيم الاتحاد، العمل في الخارج، تكوين المسيرين، الاهتمام بالشباب، الاهتمام بالعمال، الاهتمام بالمرأة، المذكرات واللوائح، الثقافة الوطنية، تنظيم المهاجرين في فرنسا.

الميدان التكتيكي:

ضرورة متابعة سياسة التحالف مع الأحزاب حتى ولو كانت لا تشاطره آراءه وأفكاره، ومناهجه ووضع برنامج محدد للعمل السياسي والاقتصادي، والاجتماعي، وإيجاد تناسق بين الدعاية الصادرة عن القيادة والقاعدة، وإيجاد اتصالات دائمة ومتوالية بين المسيرين والمناضلين.